

اسم المادة: ٨- الإيمان بالكتب

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ٨- الإيمان بالكتب
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله –تعالى– القائل في كتابه الكريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ" النساء:١٣٦، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه.

أما بعد؛

حيّاكم الله أيها الأكارم، وهذا لقاؤنا الثامن مع الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة لمؤلفِه الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري –حفظه الله–.

اليوم موعدُنا مع اللقاء الثامن، ومع الركن الثالث، الإيمان بكتب الله –عزَّ وجلَّ– المُنزَّلة، فالإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله كلها هو ركنٌ عظيم من أركان الإيمان، وأصلٌ كبيرٌ من أصول الدين لا يتحقق الإيمان إلا به، أنزلها الله سبحانه وتعالى –أي الكتب– حجةً على العالمين ومَحجَّةً للسالكين، وجحدُ كتابٍ واحدٍ منها جحدٌ بالجميع، يعني الذي ينكر كتاباً ثبت أن الله –عز وجل– أنزله إلى نبي أو رسول، كأنه جحد بالكتب جميعاً ففقد ركن من أركان الإيمان، ولن يتم له الإيمان ولن يصح له الإيمان إلا بأن يؤمن بكل كتابٍ أنزله الله –تبارك وتعالى–، ما ذكره اللهُ تفصيلاً نؤمن به تفصيلاً، وما ذكره –سبحانه وتعالى– على سبيل العموم والإجمال نؤمن به، كما هو الشأن في الإيمان بالرسل كذلك.

يقول المؤلف: (الإيمان بالكتب الركن الثالث)، أهل السنة والجماعة يؤمنون ويعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الله –عزَّ وجلَّ– أنزل على رسله كتباً فيها أمره، ونهيه، ووعده ووعيده، ما أراده –سبحانه– من خلقه، ولا يعلم عددها إلا الله الذي أنزلها.

قال الله –تعالى–: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" البقرة:٢٨٥.

وأن هذه الكتب جميعاً فيها هديً ونور، وشفاء لما في الصدور، لأنها كلام ربنا –سبحانه وتعالى–، وأن الله أنزل كتبه على رسله لهداية البشرية جمعاء، قال الله –تعالى–: "الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" إبراهيم:١.

ومن هذه الكتب التي ثبت ذكرها في الوحيين: القرآن، التوراة، الإنجيل، الزبور، صحف إبراهيم وموسى، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها على الإطلاق هو القرآن العظيم.

فهذه الكتب الستة اللي هي القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، هذه الستة هي الكتب التي ذُكرت على سبيل التفصيل في الكتاب والسنة، وإن كان هناك خلاف، لكونِ الكتاب مختصر لم يشأ المؤلف أن يذكر الخلاف الذي في صحف موسى خاصة، هل هي التوراة؟ وهذا أحد أقوال أهل العلم أم أن الصحف غير التوراة؟ وهذا هو القول الثاني في المسألة، وربما يكون هذا الخلاف من الخلاف السائغ أنه ليس مقطوعاً به، لأن الله قال في كتابه: "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ" الأعراف:١٤٥، بعض المفسرين قالوا بأن هذه الألواح هي التوراة والبعض قال بأنها الصحف، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله كتب التوراة بيده لموسى –عليه السلام–، فسواء كانوا ستة، بذكر



صحف موسى باعتبارها غير التوراة، أو أنها خمسة لكون هذه الصحف هي التوراة، فهذه التي ذُكرت على سبيل التفصيل. وطبعاً التوراة هي كتاب موسى –عليه السلام– وكذلك الصحف، وصحف إبراهيم، والزبور هو كتاب داود –عليه السلام– "وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" الإسراء:٥٥، والإنجيل هو كتاب عيسى –عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام–.

قال: ولم يتكفل الله –سبحانه وتعالى– بحفظ شيءٍ من هذه الكتب –عدا القرآن–، بل استُحفِظَ عليها الأحبار والربانيون، لكنهم لم يحافظوا عليها، وما رعوها حق رعايتها، فحصل فيها تغيير وتبديل، فضاعت أصولها وغُيِّرت أحكامها، وأول هذه الكتب تحريفاً التوراة.

قال الله –تعالى–: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" النساء:٤٦، والتحريف حصل في الزيادة والنقصان وتحريف المعاني وإزالتها عمّا أُريد بها، وقال الله –تعالى– في آية أخرى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ" المائدة:١٥، وهذا في شأن الإنجيل وأهل الإنجيل، أنهم أخفوا شيئاً منه فجاء الرسول –عليه الصلاة والسلام– ليبين هذا الذي قاموا بإخفائه.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون بأن الإيمان بالكتب السابقة إيمان مجمل، يكون بالإقرار بها بالقلب واللسان، أمّا الإيمان بالقرآن فإنه إيمان مفصّل يكون بالإقرار به بالقلب واللسان واتباع ما جاء فيه وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة.

والقرآن العظيم هو كلام رب العالمين –سبحانه وتعالى– وكتابه المبين، وحبله المتين المُتعبَد بتلاوته، أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله –صلي الله عليه وسلم– ليختم به الكتب، كما ختم بمحمد –صلي الله عليه وسلم– الأنبياء والرسل، وليكون منهجاً للأمة، ومُخرِجًا للناس من الظلمات إلى النور، وهادياً لهم إلى الرشاد، وإلى الصراط المستقيم.

وقد بين الله –تعالى– فيه –أي في القرآن– أخبار الأوَّلين والآخرين، وسيرة الأنبياء والصالحين، وخلق السماوات والأراضين وما فيهنَّ، وفصَّل فيه الحلال والحرام، وأصول الآداب والأخلاق، وأحكام العبادات والمعاملات، وجزاء المؤمنين والكافرين، ووصف الله –تعالى– فيه الجنة دار المؤمنين، والنار دار الكافرين، وجعله شفاءً لما في الصدور، وتبياناً لكل شيء وهدي ورحمة للمؤمنين، قال الله –تعالى–: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ" النحل:٨٩، ويجب على الجميع –أي على جميع الأمة– اتباعه؛ نتبع الكتاب العزيز: "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ" الأعراف:٣، وتحكيمه –أي في أمورنا–؛ نحكمه في الدماء، وفي الأموال، وفي الفروج، وفي الخصومات، وفي سائر حياتنا، فالقرآن هو الدستور الأعظم للمسلم، لا يليق بمسلمٍ أبداً أن يخرج عن أحكام الكتاب، وما أعظم هذا الوصف الذي وصفته أمنا عائشة لنبينا –صلى الله عليه وسلم– حينما سُئلت عن خلق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قالت: كان خلقه القرآن، وقد زكي الله –عز وجل– خلقه فقال: "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم:٤، فلا أحد يتبع الكتاب العزيز ويتخلق بأخلاق القرآن إلا ويكون على خلق عظيم، وكل ما اقترب من الوصف النبوي في أخلاقه كل ما كان الأمر أعظم وترقى إلى منازل سامية.

وكذلك الرجوع إلى أحكامه مع ما صح من السنة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– لأن الله –تعالى– بعث رسوله إلى الثقلين –الجن والإنس– ليبين لهم ما أُنزل إليهم من ربهم، قال الله –تعالى–: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" النحل:٤٤.

وأهل السنة والجماعة كذلك يؤمنون بأن القرآن كلام الله –تعالى– على الحقيقة –حروفه ومعانيه– منه بدأ –سبحانه وتعالى– لأنه هو الذي تكلم به وقاله –عز وجل–، وإليه يعود، وهذا يكون في آخر الزمان، كما أخبرنا النبي –صلى الله عليه وسلم– وإنه ليُسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقي منه في الأرض آية، قبل قيام الساعة يرفع الله –عز وجل– القرآن من الأرض، حتى إن أهل الإيمان الذين بقوا، لا يعرفون من الدين إلا شيئاً يسيراً، لو أن أحدهم في صدره من القرآن شيء لوجد أنه قد مُحي، فيفزع الناس إلى المصاحف فلا يجدون فيها سوداء إنما هي بيضاء، كأن لم يكن فيها مسطوراً كتاب الله –تبارك وتعالى–، ولأن معروف أن أخلاق الناس وأديانهم بتفسد فساد عريض قبل قيام الساعة، فبينزه ربنا –سبحانه وتعالى– كلامه أن تقوم الساعة وهو بين أناس لا خلاق لهم، ولا يعرفون شيئاً من دينهم.



يبقى منه بدأ –سبحانه وتعالى– وإليه يعود، منزلٌ غير مخلوق لأنه كلام ربنا –سبحانه وتعالى– وكلامه صفة من صفاته، فمن ادّعى أن القرآن مخلوق يبقي إذن صفات ربنا –سبحانه وتعالى– مخلوقة، وهذا كفرٌ بيّن.

تكلم الله –تعالى– به حقاً بصوت مسموع على ما يليق بجلاله وعظمته وكماله، وتلقاه جبريل من الله –سبحانه وتعالى– وسمعه من الله –جلّ شأنه–، فبلّغه إلى النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وتلقاه محمد –صلى الله عليه وسلم– وسمعه منه، وحفظه في قلبه.

وربنا –سبحانه وتعالى– ثبته في قلبه، كما جاء في قوله –تعالى–: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" القيامة:١٨، كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يجد من الوحي شدة، وكان عنده رهبة –عليه الصلاة والسلام– إن هو ممكن ينسى شيء من القرآن، فكان جبريل –عليه السلام– وهو يلقيه عليه يردده، فنهاه الله –عز وجل– عن ذلك، وقال –سبحانه وتعالى–: "وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا" طه:١١٤، فنهاه الله –عز وجل– أن يردد، وأن الله –سبحانه وتعالى– هو الذي سيثبت القرآن في صدره، وقد كان، وألقاه النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد ذلك علمه لأصحابه –رضي الله عنهم وأرضاهم– ولا زالت الأمة بعد ذلك جيل من بعد جيل مَن شرفهم الله بحفظ الكتاب وتعليمه للناس، هؤلاء هم الأخيار من هذه الأمة، "خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ"[1].

فبلَّغه النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى أصحابه –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم–، ومِن ثَمّ إلى أمته، وأنذر به الأمم، أنزله الحكيم الخبير بلسان عربي مبين، ونُقل إلينا بالتواتر الذي لا يرقى إليه شك، قال الله –تعالى–: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" الشعراء١٩٢:١٩٥.

وليس هناك تعارض على قول ابن عباس ومن وافقه من أهل العلم على أن القرآن نزل إلى بيت العزة في السماء، ثم كان ينزل بعد ذلك مفرقاً بحسب الوقائع وبإذن الله –عز وجل–، فهذا لا ينافي أن جبريل سمعه من الله أولاً، ثم أنزله الله إلى بيت العزة في السماء، ثم كان ينزل بإذن الله –عز وجل– بعد ذلك، قال الله –تعالى–: "وَإِنَّهُ –أي القرآن– لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ –جبريل –عليه السلام– أمين الوحي وأعظم الملائكة، كما مر علينا في الإيمان بالملائكة– عَلَى قَلْبِكَ –أي قلب محمد –صلى الله عليه وسلم– لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ".

والقرآن الكريم لم يُنَزَّل مكتوباً كالتوراة، ولم يُنَزَّل جملةً واحدةً على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بل نُزّل مُنجَّماً ليُحفظ، أي مُفرقاً حسب الوقائع، أو جواباً عن أسئلة، أو حسب مقتضيات الأحوال، في ثلاث وعشرين سنة.

وطبعاً الكفار كان عندهم نوع من السفه ويقترحون على الله –عز وجل– بغير علم: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً –من حِكَم تنزيل القرآن مفرق على الأحداث والوقائع– كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا" الفرقان٣٢:٣٣، وما الذي يضيرهم أن ينزل القرآن على أزمنة متفرقة، هذا ليس يشغلون به أنفسهم ولا دخل لهم فيه، إنما المطلوب أن يكون للقرآن هداية لهم، شفاء لكفرهم، وداء قلوبهم، ويُقبلون عليه فينتفعون بالوحي، لأنه نور وحياة وشفاء كما مرّ معنا.

إذاً القرآن لم ينزل جملة واحدة كالتوراة، وكذلك لم ينزل مكتوباً كالتوراة، وإنما كان جبريل –عليه السلام– يأتي إلى النبي كما مرّ، فيُسمعه الآية والآيات والسورة وهكذا شيئًا من بعد شيء، في مدة الوحي إلى النبي –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– وكان هناك كتاب للوحي من الصحابة يكتبون بين يدي النبي –صلى الله عليه وسلم– كما هو مشهور ومعروف.

والقرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ، وتحفظه الصدور، وتتلوه الألسن، ومكتوب في الصحف، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، قال الله –تعالى–: "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ" الواقعة٧٧:٨٠. والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ.

[1] صحيح البخاري



وأهل السنة والجماعة متفقون على عد سور القرآن وآياته، وكلماته، وحروفه، ويكفرون من أنكر سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفاً منه، أو زاد أو نقص، أو زعم أن القرآن متناقض في آياته، أو مشتمل على بعض الخرافات، فيؤمنون إيماناً جازماً بأن كل آيةٍ من آيات القرآن منزلة من عند الله –تعالى–، وقد نُقلت إلينا بطريق التواتر القطعي.

لأن الأمة جيل عن جيل، ألوف وملايين من الناس ينقل بعضهم عن بعض، ليس بالعشرة، ولا العشرين، ملايين البشر، في كل جيل ينقلون إلى من يعلمونهم من أبنائهم وتلاميذهم، وهناك أسانيد للكتاب العزيز تنتهي إلى الصحابة عن نبينا –صلى الله عليه وسلم– عن جبريل عن رب العالمين، وما أشرف هذا الإسناد، وما أعظمه، وأنبله لمن قام بحقه.

والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة لنبي الإسلام محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم–، معجز في أسلوبه، معجز في نظمه وعلومه وحكمه وتشريعاته وأخباره وتأثيره ووعده ووعيده، وهو آخر الكتب السماوية، لا يُنسخ ولا يُبدل، وقد تكفل الله –عز وجل– بحفظه من أي تحريف: "لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" فصلت:٤٢، "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الحجر:٩.

والقرآن الكريم كذلك كُتب في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– وبمرأى منه، حيث كان للوحي كتبةٌ من خيرة الصحابة الكرام، لا يفارقون النبي –صلى الله عليه وسلم– ويكتبون كل ما نزل من القرآن، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يدلهم على موضع كل آية من سورتها، ثم جُمع في عهد أبي بكر الصديق بين دفتي المصحف، وفي عهد عثمان ذي النورين على حرف واحد، وكان ذلك بإشراف أعلام الصحابة وكُتاب الوحي –رضي الله عنهم أجمعين–.

ويحتوي القرآن على (١١٤) سورة، (٨٦) منها نزلت في مكة (أي قبل الهجرة)، و(٢٨) منها نزلت بالمدينة (بعد الهجرة)، وتسمى السور التي نزلت قبل الهجرة بالسور المكية، أو بالقرآن المكي، وما نزل بعد الهجرة في المدينة بالقرآن المدني، وفيه –أي في القرآن– (٢٩) سورة افتتحت بالحروف المقطعة.

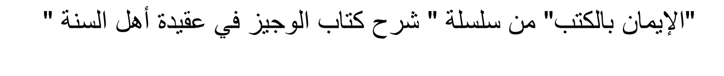
وأهل السنة والجماعة يهتمون بتعليم القرآن وتعلمه، وحفظه وتلاوته بحسن الصوت، والإنصات إليه إذا قُرئ، وكل هذه المسائل عليها أدلة كثيرة من الكتاب العزيز، وتفسيره على نهج سلف الأمة، والعمل بأحكامه في كل صغيرة وكبيرة، قال الله –تعالى–: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" ص:٢٩.

ويتعبدون الله –تعالى– بقراءته، لأن في قراءة كل حرف منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك، فقال: "مَنْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ"[٢]،

وكذلك لا يُجوزون –أي أهل السنة والجماعة– تفسير القرآن بالرأي المجرد، فإنه من القول على الله –عز وجل– بغير علم، وهو من عمل الشيطان، قال الله –تبارك وتعالى–: "يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ" البقرة١٦٨:١٦٩.

فأهل العلم ذكروا بأن من القول على الله –عز وجل– بغير علم، الذي يفسر القرآن برأيه المجرد دون أن يرجع إلى الآيات التي يفسر بعضها بعضاً، قد يكون الأمر عام هنا وهناك له خصوص، قد يكون هذه الآية ناسخة لغيرها من الآيات، قد يكون الأمر أُجمل هنا وبُيّن في موضع ثانٍ، وهكذا أيضاً في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وما صح عنه أنه فسر به آيات، وهكذا أيضاً أصحابه –رضي الله عنهم–، لأنهم

[٢] سنن الترمذي




كثيراً ما كانوا يسألون نبينا –صلى الله عليه وسلم– عما أُشتبه عليهم من أمر الكتاب العزيز، وورثوا هذا العلم إلى من بعدهم من التابعين وأئمة اللغة، خصوصاً في القرون الخيرية، هذا هو التفسير المنضبط لكلام المولى –عز وجل–.

ولذلك فإنه من لم يأخذ بهذه الأشياء أضر بنفسه غاية الضرر، وإذا كان مثلُ الصِدّيق، والصِدّيق هو من هو في العلم، وطول الصحبة للنبي –صلى الله عليه وسلم– والمنزلة العالية، ومع ذلك لما سُئل عن شيء من كتاب الله ولم يكن عنده به علم، قال: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله –عز وجل– بغير علم.

الإيمان بالكتب، هذا مرور سريع على هذا الأمر.

وزي ما قلنا إن احنا بنؤمن بما سبق من الكتب على وجه الإجمال، وخصوصاً الكتب التي ذكرها الله –عز وجل–، والتي ذكرها إجمالاً نؤمن بها على سبيل الإجمال، والذي ينصب عليه الإيمان المفصل، ويلزم كل مسلم ومسلمة أن يؤدي حقه عليه، حق القرآن على المسلمين كثير، ومنه حق الإيمان، أن نؤمن بالكتاب العزيز حق الإيمان، وأن نعلم أنه كلام الله –سبحانه وتعالى–، وأنه محفوظ بحفظ الله، وأن الله تحدى به الإنس والجن، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، وتحداهم بعشر سور فعجزوا، وتحداهم بسورة واحدة، ولو كانت من قصار سور القرآن، ومع ذلك عجزوا، لأنه كلام رب العالمين –سبحانه وتعالى– المُعجز، وأن يد التحريف لم تطل هذا الكتاب العزيز، وهو الكتاب الوحيد الذي نجا من التحريف، ولم يحدث فيه ما حدث في الكتب السابقة من أهلها، الذين وكلهم الله بحفظها فضيعوها وحرفوها، وأما هو –عز وجل– فقد تكفل بحفظ هذا الكتاب العظيم، وهو الحافظ الحفيظ –سبحانه وتعالى–، إذا حفظ شيئاً فأنّى تصيبه الضيعة، وأنّى تناله يد التحريف، ولله الحمد والمنة.

ولعلكم ترون في زماننا هذا كيف حُفظ الكتاب العزيز بكل وسائل الحفظ، يعني محفوظ في صدور أهل العلم، "بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" العنكبوت:٤٩، والصبيان الصغار يحفظونه في الكتاتيب، والنساء في البيوت يحفظون كتاب الله –عز وجل–، وشيوخ الإقراء يُحفظونه ويُلقنونه لطلابهم، وهو مسطور في مصاحف المسلمين التي تُراجع من قِبَل أهل العلم، ومحفوظ بحفظ الله –عز وجل– في الإذاعات، يُتلى من المقرئين المجيدين لقراءة القرآن، وهو كذلك محفوظ بكل وسائل الحفظ الممكنة في هذا الزمان، ولله الحمد والمنة.

ونختم لقاءنا اليوم أيها الأكارم بذكر **ثمرات الإيمان بالكتب**، ما هو المطلوب مني كمسلم؟ وما هو المطلوب مني كمسلمة؟ يتحصل لي إذا آمنت بهذا الأمر.

أولاً: قلنا إن لا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالكتب جميعاً، كل كتاب أنزله الله –عز وجل– إلى رسول قبلنا، فنؤمن به قطعاً، فهذا يدل على أن أهل الإسلام هم الذين فازوا بهذه المزية وحدهم، وأما اليهود فأتوا عند التوراة وقفوا، والنصارى أتوا عند الإنجيل وقفوا فلم يؤمنوا بالقرآن، وأما نحن فنؤمن بكل هذه الكتب ونزيد عليها أننا نؤمن بالكتاب الأعظم الأجل الأفخم، وهو القرآن العظيم الكريم، هذا هو الأمر الأول، إن إيماننا لن يتم، بل لن يصح إلا بأن نؤمن بجميع الكتب.

والأمر الثاني: أن نشكر الله –سبحانه وتعالى– على لطفه بخلقه –عز وجل–، وعنايته بهم –سبحانه–، حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، فإنزال الكتب من مظاهر رحمته –سبحانه وتعالى– بالخلق ولطفه بهم –عز وجل–، وكما كان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الشرائع أغذية القلوب، يعني من تغذى بأغذية الشرائع الصحيحة فإن هذا القلب يصح ويستنير، وأما من تغذى بأغذية خبيثة، يعني أدخل البدع والمحدثات والأشياء الضارة، فيكون كمن تناول الطعام الخبيث، فإنه يضره غاية الضرر، وأحياناً أصبح لا يستملح ولا يتذوق ولا يتنعم بهذا الغذاء الروحي العظيم، يعني ممكن ناس دلوقتي مثلا يبقى أشعار الغزل والخمريات وغيرها من



الأشعار دي، بيعيط وقلبه يرق ويبقى في السحاب، يسمع القرآن لا تتحرك له شعرة، ولا تنزل له دمعة، ولا يهتز له جلد ولا بدن، ليه؟ لأن هو امتلأ بهذا الأمر، فأصبح ليس هناك مكان لكلام الله، أما القرآن إذا استولى على القلب فإن الإنسان سيجد نعيماً عظيماً، ولذة لا تدانيها لذة والله مما يتلذذ به الناس.

الأمر الثالث: ظهور حكمة الله -سبحانه وتعالى- حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، ولذلك كان خاتم الكتب هو القرآن الكريم، وهو الذي سيمضي مع الناس إلى قيام الساعة، فلذلك من أحد أوجه عظمة القرآن العظيم أنه مناسب لكل زمان ومكان، وصالح لكل زمان ومكان، ومُصلح لكل زمان ومكان، ومُصلح لكل أمة، أي أمة تأتي بعد نبينا -صلى الله عليه وسلم- فهو عام للأجيال، يسير مع الناس حيث ساروا، احنا شايفين من حولنا ضعف أهل الإسلام وتكالب الأمم عليهم، وأنهم لا يستطيعون أن يقودوا الناس إلى هذا الخير، ومع ذلك نجد كثير من الناس مع ضعف المسلمين وسوء حالهم، إذا سمعوا القرآن الكريم -سبحان الله- تجد أن هذا يكون سبب هداية عظيمة له، ودي أيضاً سطوة القرآن العظيم، وأن هذا الكلام فعلاً كلام رب العالمين، الذي أنزله هدايةً للناس.

كذلك أيضاً من ثمرات الإيمان بالكتب إثبات صفة الكلام لله -سبحانه وتعالى-، "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ" التوبة:٦، وقال الله -سبحانه وتعالى-: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا" النساء:١٦٤.
وأن كلامه -سبحانه وتعالى- لا يشبه كلام المخلوقين.
وكذلك أيضاً عجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه -سبحانه وتعالى-.
هذا مختصر سريع لعقيدة المسلمين، والعقيدة الصحيحة لما ينبغي أن نؤمن به من كتب الله -عز وجل- المُنزلة.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا وإياكم إيماناً عالياً، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يبارك لنا في كتابنا، وفي سنة نبينا -صلى الله عليه وسلم- وأن ينفعنا بهما، وينفع عموم المسلمين، وأن يردنا -سبحانه وتعالى- إلى كتابه، وإلى سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- رداً حميداً، وأن يأخذ بنواصينا -عز وجل- إلى هذا الخير، وأن يُحَكِّم -سبحانه وتعالى- فينا كتابه، وسنة نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً-.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وإلى لقاءٍ قادمٍ بإذن الله.

